

الجسد الواحد

وثائق التواصل بين الإباضية في المشرق والمغرب
(1)

محبوب

الإصدار الثالث والثمانون

رسالة أبي مهدي

عيسى بن إسماعيل

إلى أهل عُمان



ضبط نصها وعلق عليها

سُلطان بن مبارك بن حمد الشَّيباني

سلسلة: الجسد الواحد؛ وثائق التواصل بين الإباضية في المشرق والمغرب
 الحلقة الأولى
 رسالة أبي مهدي عيسى بن إسماعيل إلى أهل عُمان

جميع الحقوق محفوظة
 الطبعة الرقمية الأولى
 المحرم 1446هـ / يوليو (تموز) 2024م

محبوب

محبوب للنشر الرقمي
 مسقط / سلطنة عُمان
 البريد الإلكتروني:
 mahboub.pd@gmail.com

رسالة أبي مهدي
عيسى بن إسماعيل
إلى أهل عُمان

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،
وعلى آله وصحبه ومن والاه

● تمهيد:

عبر التاريخ الإباضي الممتد من القرن الأول إلى يومنا هذا جَابَ أتباعُ المذهب أنحاءَ المعمورة؛ حاملين لواء الإسلام، وناشرين الدعوة العظيمة التي تدعو في كل جزئياتها ووكلياتها إلى التوحيد والتآخي والتآلف. ولم تكن المسافات الشاسعة لتحول بينهم وبين التواصل مع إخوانهم والسؤال عن أحوالهم، بل جَسَدَتْ لِحْمَتُهُمْ ووحدتهم مثلاً رائعاً يجدر أن يُسَطرَ وَيُدَوَّنَ وَيُحْتَذَى به، لا يَعْزُبُ عن بالهم حديثُ رسولهم الكريم صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».

وفي هذه المقالات أستعرض صفحاتٍ من التواصل بين الإباضية في المشرق والمغرب، آخذًا في الاعتبار أن التواصل تَمَثَّلَ في صُورٍ عديدة، مِنْ أَهْمِّهَا: الوثائق المتبادلة بين الطرفين (مِنْ كُتُبٍ ورسائل وقصائد وجوابات وتقارير على ظهور الكتب)، وتستمدُّ أَهَمِّيَّتُهَا من جُمْلَةِ أمور، أبرزُها: كونُها وثائق مدونة محفوظة، وتُعدُّ مصدرًا حيًّا من مصادر التاريخ، تكشف لنا عن جانب حضاري مشرق، من جوانب الحضارة الإسلامية العريقة.

• نصُّ الوثيقة:

هذه رسالة الشيخ عيسى بن إسماعيل إلى إخواننا أهل عُمان

حيّاهمُ الله بالسَّلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صلِّ على نبينا محمد وآله

نصُّ الكتاب المبعوث إلى الإخوان العُمانيين حفظهم الله
وصانهم وأعاننا وأعانهم.

الحمدُ لله الموفق المعين، الهادي إلى النور المبين، ﴿الَّذِي أَحْسَنَ
كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ
سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [السجدة/8] ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾
[المؤمنون/14]. نسأله أن يجعلنا من عباده المحسنين.

والصلاة على سيد المرسلين، محمد خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه
الهادين المهتدين، الراشدين المرشدين، وعلى تابعيهم وتابعيهم إلى
يوم الدين.

مِنْ طَلَبَةِ بَنِي مُضْعَبٍ، وَمَنْ حَضَرَ مِنْ عَامَّتِهِمْ بِلِسَانِهِ، وَعَايَنَهُمْ
 بِشَأْنِهِ [كذا]: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ؛ يَصْحَبُهُ مَلَازِمَةُ الْقُلُوبِ وَالْأَفْكَارِ، مَا
 فَارَقَتْ فَرْقَتُهُ طَيْبَ الْكَرَى بِلَذِيذِ الْأَذْكَارِ، وَقَامُوا لِقِيَامِهِمْ يَرْتَعُونَ
 بَرِيَاضَ الرِّضَا وَيَسْتَغْفِرُونَ بِالْأَسْحَارِ، سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى،
 وَاصْطَفَاهُمْ لِدَارِ الْجَوَارِ، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ
 آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾
 سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد/23-24].

نُخَصُّ بِهِ الْأَوْلِيَاءَ الصَّالِحِينَ، أُولِي الْعِلْمِ الشَّاهِدِينَ، عُلمَاءَنَا
 وَمَشَائِخَنَا وَسَادَاتِنَا، مَنَارَ اهْتِدَاءٍ فِي سَمَاءِ أَرْضِنَا، شُمُوسَهَا وَأَقْمَارَهَا أَهْلُ
 عُمَّانَا، حَيْثُ مَا قَطَنُوا سَهْلًا وَوَعْرًا، أَنْثَى وَذَكَرًا، عَبْدًا وَحَرًّا، صَغِيرًا
 وَكَبِيرًا، زِينَةَ النَّاظِرِينَ، وَخِلَصَةَ عِبَادِ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ؛ أَتَمَّ اللَّهُ لَهُمْ
 الْإِحْسَانَ، وَعَرَّفَ لَهُمْ غُرَفَ الْجَنَانِ، إِنَّهُ هُوَ الرَّؤُوفُ الْمَنَّانُ.

وَبَعْدُ؛ فَإِنَّ نُورَنَا مِنْ ضِيَائِكُمْ، وَعِلْمُنَا قَطْرَةٌ مِنْ بَحَارِكُمْ، فَبِإِرْشَادِكُمْ
 أَبْصَرَتْ عَيُونُنَا، وَانْفَتَحَتْ أَسْمَاعُنَا وَوَعَتْ قُلُوبُنَا، أَفَاضَتْ عَلَيْنَا قَدِيمًا
 بِحَارَ فَضْلِكُمْ، وَأَمْطَرَتْ عَلَيْنَا سَحَابَ بَذَلِكُمْ، فَأَخَذَ كُلُّ مَنْابِحٍ بِحَسَبِ
 بُغْيَتِهِ، وَأَدْرَكَ غَايَةَ رَغْبَتِهِ، كَمَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ يَدٍ مَوْفُورَةٍ، وَنِعْمَةٍ

مشكورة، فكيف لا وقد أنهلت علينا هذه الدِّيمُ من غيثكم، وأُنحلتَ لنا هذه الغنِمةُ بسيفكم. فما قلتُ في ذلك إلا ببرهان، ولا نطقتُ ببهتان.

فلهذا وأمثاله فُضِّلْتُمْ على غيركم، حتى أمر الله ربُّنا نبيَّه مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم أن يصدع ببعض فضائلكم على رؤوس الأشهاد من الأنام، ويبشر [كذا] بالصخرة والمقام، وفي ذلك دليل الكرامات العظام. وقد صحَّ قوله عليه السلام بأوضح البيان: «لِيَكْثُرَنَّ وَرَادَ حَوْضِي مِنْ أَهْلِ عُمَانَ».

فيا لها من بشارَةٍ ما أعظمها! وإشارةٍ ما أنصفها! كنايةٌ تفيدُ التصريح لا التلميح؛ بأنهم أهلُ الهدى والثبات والاستقامة، لهمُ البشرى في الحياة الدنيا. ولعلَّ الله عز وجل يُمِّنُ علينا أن نكون من المتعلِّقين بأهدابِهِمْ، وإنْ كُنَّا عَنْهُمْ كالمهيض الجريح، فإنَّ المرءَ مع مَنْ أَحَبَّ بإسناد الصريح. لَيْتَ شِعْرِي هل لنا التقبيلُ لِحَصَى أَرْضِهِمْ، والتقلُّبُ في إكرامهم وفضلهم؟

• يَعْلَنَّا هَذَا الزَّمَانُ وَلَا نَدْرِي! •

وَنُعَلِّمُكُمْ أَنْ قَدْ وَصَلَ إِلَيْنَا الْفَقِيهُ الْأَدِيبُ الْحَاجُّ مَسْعُودُ بْنُ أَحْمَدَ
الْعُمَانِي، فَاهْتَزَّتْ الْأَرْضُ لِقُدُومِهِ وَرَبَّتْ، وَفَرِحَتْ حَتَّى ضَحَكَتْ
وَتَزَخَّرَتْ، وَأَشْرَقَتْ بِهِ وَرَحَّبَتْ.

فَقَالُوا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا يَبْدُرُ الْعُلَا يَعْلُو السَّمَاءُ بِالْمَنَازِلِ
وَقَدْ تَرَكَ الْحَيَّ الْكَرَامَ وَرَاءَهُ وَأُمَّتُهُ يَقْرَأُ الْوَرَى بِالْمَنَاخِلِ⁽¹⁾
فَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِ مُسْتَشْفِعِينَ أَنْ يَسْتَوْطِنَ بِلَادَنَا، فَأَبَى مُعْتَذِرًا
بِالْوَالِدَيْنِ، آتَاهُ اللَّهُ ثَوَابَ الدَّارَيْنِ.

وَأُطْلَعْنَا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَأَنَّهُ قَدْ
حَفَّتْ بِكُمْ أَفَانِينُ اللَّذَاتِ؛ الْعُلُومُ ثَلَاثًا، وَرِيحَانُهَا يَهْتَزُّ، وَأَنْهَارُهَا
تَطْرَحُ، وَفَاكُهُ خَضِرَةٌ، وَنِعْمَةٌ وَحَرَةٌ [كَذَا]، فِي دَارٍ سَلِيمَةٍ وَمَقَامٍ
كَرِيمٍ، وَ[اجْتَمَعَ] الْعَدْلُ وَالْفَضْلُ وَالْخَيْرُ وَالْعِلْمُ وَالزَّهْدُ وَالْعِبَادَةُ
وَالْأَدَبُ وَالْوَرَعُ وَالسِّيَادَةُ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ فِي غَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ، وَاللَّهُ وَلِيُّ
الْإِرْشَادِ. نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى تَخْلِيدَ تِلْكَ الْفَضَائِلِ لَكُمْ، إِلَى الْفَوْزِ
بِالدَّرَجَاتِ فِي نَعِيمِ الْجَنَّاتِ.

⁽¹⁾ هكذا قرأت البيتين، ولم أهتم إلى تصحيحهما.

وَعَرَضْنَا وَرَغَبْنَا أَنْ تَجُودُوا عَلَيْنَا بِالْأَعْلَامِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ
 لِلتَّلَذُّذِ وَالتَّنَعُّمِ بِالْإِنْعَامِ، وَإِحْيَاءِ الْإِسْلَامِ وَإِجْلَاءِ الظَّلَامِ، وَلَا تَتْرَكُونَا
 كَالْبَهْلِ الْمُطْلَقَةِ الْمُهِمَلَةِ كَسَوَامِ الْأَنْعَامِ، لِأَنَّكُمْ أَثْبَتُمُوهُ وَأَصْلَتُمُوهُ
 وَأَسَّسْتُمُوهُ، فَإِنَّ الْأَوَّلِينَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَدَارَكُوهُ عَلَى قَصْدٍ مِنْهُمْ لِإِعْلَانِهِ،
 وَأَجْرُوا مَاءَ الْحَيَاةِ عَلَيْنَا رَغَدًا لِإِبْقَائِهِ، فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ
 ثَوَابِ الْآخِرَةِ، وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. فَعَلَيْكُمْ افْتِقَادُهُ وَرَعِيهِ تَفُوزُوا بِخَيْرِ
 الدَّارَيْنِ.

وَبَنُو مُصْعَبٍ الْمَذْكُورُونَ وَمَنْ حَوَالِيهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ:
 دِينِي وَدُنْيَوِي. فَالِدِينِي - وَالشُّكْرُ لِلَّهِ - رَاسِخٌ ثَابِتٌ، يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ،
 ظَاهِرٌ مُتَظَاهِرٌ. أَهْلُ مُرَاقَبَةٍ فِي شِدَّةِ الْعَزِيمَةِ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَخَافُونَ فِي
 اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَلَا سَطْوَةَ ظَالِمٍ غَرَضُهُ رِضَا الْحَاكِمِ.

وَالدُّنْيَوِي يَتَرَدَّدُ مَدَاوِلَةً بَيْنَ الْأَيَّامِ وَالْيَسْرَانِ [كَذَا] لِأَهْلِ
 الْإِسْلَامِ. وَقَدْ كَانَ بَنُو مُصْعَبٍ الْمَذْكُورُونَ فِي السَّنِينَ الْمَاضِيَةِ فِي الْفِتْنَةِ
 الْعَاصَةِ، أَفْضَتْ بِهِمْ إِلَى الْقَتْلِ وَالْإِخْرَاجِ وَالْغَدْرِ وَالْهَدْمِ، إِلَى أَنْ
 كَادَتْ شُمُوسُهُمْ تَقُولُ [كَذَا]، وَنَسِيَهُمْ يَعُولُ، جَرَدَ الدَّهْرُ عَلَى أَهْلِ
 الْفَضْلِ مِنْهُمْ سَيْفَ الْعَدَوَانِ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الْأَوْطَانِ. فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

فَعَفَا، بَعْدَ أَنْ وَقَفُوا عَلَى شَفَا، فَأَنْقَذَهُمْ بِرَحْمَتِهِ، فَتَدَارَكُوا مَا أَفْسَدُوا
بِالصَّلَاحِ، وَمَا ظَلَمُوا بِالْإِصْلَاحِ، وَأَلَّفَ بَيْنَ الْقُلُوبِ بَعْدَ الْإِفْتِرَاقِ،
وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ التَّشْتِيتِ إِلَى الْوِفَاقِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَلِكِ الْخَلَّاقِ.

هَذَا لِنَفْيِ مَا يُحِيرُكُمْ وَيُغَيِّرُكُمْ. أَتَمَّ اللَّهُ نِعَمَهُ عَلَيْكُمْ سَادَاتِنَا
وَمَشَائِخِنَا، وَمَنْ تَقَرُّ بِهِمْ أَعَيْنُنَا، وَتَنْشُرُ بِحُسْنِ أَخْبَارِهِمْ صُدُورُنَا،
وَتَتَنَّى لِقَاءَهُمْ خَوَاطِرُنَا، وَعِزَّنَا وَافْتَخَارَنَا.

اللَّهُ اللَّهُ فِينَا، الدِّعَاءُ الصَّالِحُ مِنْكُمْ - فِي مِظَانِ الْإِجَابَةِ وَأَمَاكِنِهَا
وَأَوْقَاتِهَا - أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ السَّالِكِينَ طَرِيقَةَ الْأُمَّةِ، وَيُمَيِّنَنَا عَلَيْهَا، وَيَجْمَعُ
بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فِي جَنَّةِ التَّنْعِيمِ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْكَرِيمُ. وَلَوْ قَدَرْنَا عَلَى
الْإِتْيَانِ إِلَيْكُمْ، وَالْوَصُولِ إِلَى بِلَادِكُمْ لِأَتِينَاكُمْ، وَلَكِنْ مَنَعَنَا بَعْدُ الشُّقَّةَ،
وَطُولَ الْمَشَقَّةِ، مِنْ نَبْوِ الْأَوْطَانِ، وَشَحْطِ الْمَكَانِ، وَضَعْفِ الْأَبْدَانِ،
وَتَغْيِيرِ الزَّمَانِ، وَقِلَّةِ الْأَمَانِ، وَلَوْ قَالَ الْقَائِلُ:

زُرْ مَنْ هَوَيْتَ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ

وَحَالَ مِنْ دُونِهِ حُجْبٌ وَأَسْتَارُ

لا يَمْنَعَنَّكَ بَعْدُ مِنْ زِيَارَتِهِ
 إِنَّ الْمَحَبَّ لِمَنْ يَهْوَاهُ زَوَّارُ
 فكيف بنا إلا إن تَعَمَّدَنَا اللهُ بِرَحْمَتِهِ.

واعْلَمُوا - رحمكم الله - أَنَّ لَذَاتَنَا فِي ذِكْرِ اللهِ ثُمَّ فِي ذِكْرِكُمْ، فَكُلُّ
 مُحِبٍّ مَشْغُوفٍ، وَمِنْ حَبِيبِهِ مَصْرُوفٍ:

يَا لَائِمَ الْمُشْتَاقِ كُفَّ فَإِنَّمَا
 مَلَامَتُهُ فِي الْحُبِّ مِمَّا يَزِيدُهُ

شعر⁽²⁾:

يَقْرُّ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى مِنْ دِيَارِكُمْ
 مَعَ الْفَجْرِ وَمَضَ الْبَارِقِ الْمُتَعَالِي

(2) الشعر ذكره بسط ابن الجوزي في (مرآة الزمان) منسوباً لأبي الغنائم محمد بن علي بن فارس الهجري العراقي (ت592هـ). انظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان؛ تأليف: يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله المعروف بسبط ابن الجوزي (ت654هـ). ط1: 1434هـ / 2013م. دار الرسالة العالمية - دمشق / سورية. مج22 / ص50.

أُدَاوِي عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ بِذِكْرِكُمْ
عَقَائِلَ دَاءٍ فِي الْفُؤَادِ عُضَالِ
سَلُّوا عَنْ نُحُولِي الطَّيْفَ طَيْفَ خَيَالِكُمْ
فَلَمْ يَبْقَ مِنِّي السُّقْمُ غَيْرَ خَيَالِ
وَحُبِّكُمْ حُبٌّ يَقُومُ بِنَفْسِهِ
تَرْفَعُ عَنْ شِبْهِ لَهُ وَمِثَالِ
أَحْبَبْتَنَا إِنَّ الدُّمُوعَ الَّتِي جَرَتْ
رِخَاصًا عَلَى أَيْدِي النَّوَى لَغَوَالِ
فَجُودُوا عَلَى عَيْنِ الْحَبِيبِ بِنَظَرَةٍ
تَعْلَلُ قَلْبِي مِنْكُمْ بِمَحَالِ
فَكَمْ شَمَّ لِي مِنْ وَقْفَةٍ لَوْ شَرَيْتَهَا
بِنَفْسِي لَمْ أُغْنِنِ فَكَيْفَ بِمَالِ؟

وَحَاتِمُهُ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَرِضْوَانُهُ عَلَى السَّادَاتِ الْمَشَايِخِ، الْأُئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ، الْأَجَلَّةِ الْكِرَمَاءِ، الْأَحْبَةِ الْعِظَمَاءِ، مِنْهُمْ ذُو الشَّرَفِ الْأَصِيلِ وَالْمَجْدِ الْأَثِيلِ: إِمَامُنَا أَبُو الْبَرَكَاتِ بَرَكَاتُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، وَالشَّيْخِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَدَّادٍ، وَأَخُوهُ الشَّيْخُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مَدَّادٍ، وَالشَّيْخِ أَبُو الْبَيَانِ وَضَّاحُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَالشَّيْخِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو وَسَائِرِ الْمَشَايِخِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَالْجُودِ وَالْامْتِنَانِ، الْحَائِزِينَ قِصْبَ السَّبْقِ فِي الْمِيدَانِ، السَّابِقِينَ إِلَى الْخَيْرَاتِ الْحَسَنِ، ثُمَّ سَائِرِ الْفُقَهَاءِ، وَالطُّلَبَةِ النَّبَاءِ، ثُمَّ الْعَامَةِ عُمُومًا. تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَبَارَكَةً طَيِّبَةً، أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، إِذْ هُمْ أَفْضَلُ الْمُتَحَرِّجِينَ الْمُتَوَرِّعِينَ بِصَحَّةِ الْأَنْبَاءِ.

شعر⁽³⁾:

تَعَلَّمَ فُلَيْسٌ فِي الْقُلُوبِ تَعَلَّقَ

لَغَيْرِ عُثْمَانَ وَاضْحًا غَيْرِ خَامِلٍ

⁽³⁾ يغلب على الظن أن هذا الشعر من قول أبي مهدي كاتب الرسالة، ولا يخلو من بعض الخلل، حاولت ضبطه قدر الإمكان.

أتمّ لهم ذو العرش نوراً فمن أبى
يهش كما جلّ النعام الجوافل
وتنشق رياهم من الريح صاحت
عمان شروقاً حبهـم بالكلاكل
ولا غرو أنّ الله طيّب تربها
وطهرها من كل إفك وباطل
وثنى عليهم كل وقت تحية
كغيث من الوسميّ قَطِرٍ ووابل
تمت الرسالة المباركة بحمد الله وصلاته على رسوله⁽⁴⁾.

⁽⁴⁾ مصدر الرسالة: نسخة وحيدة ضمن مجموع بمكتبة الاستقامة، ببني يزجن في ولاية غرداية بالجزائر (رقم: دغ60، في الخزانة 1، ورقمه في الفهرس: 381)، وهي: من ظهر الورقة 11 إلى وجه الورقة 13، بنسخ: إسماعيل بن عيسى بن الحاج عبد الله المصعبي، قبل أواخر شعبان من سنة 974هـ. وقد حصلت على مصورة منها من الباحث الأستاذ: بشير بن موسى الحاج موسى. وله فضل السبق في التعريف بها في بحثه: هجرة المخطوطات العمانية إلى وادي مزاب (ضمن أبحاث مؤتمر: الدور العماني في وحدة الأمة. ط1: 1437هـ/ 2016م. ذاكرة عمان - مسقط / سلطنة عمان). ص 665 فما بعدها.

[illegible]

• التعليق على الوثيقة:

(1) كاتب الرسالة هو الشيخ: أبو مهدي عيسى بن إسماعيل بن موسى (المتوفى في ذي القعدة 971هـ) من علماء بلدة مليكة بـوادي مزاب، أصله من عرش أعراب أولاد نايل بالجزائر، نشأ على المذهب المالكي، ثم تحوّل إلى المذهب الإباضيّ فصار من أعلامه.

وهو حلقة في سلسلة نسب الدين عند الإباضية، إذ أخذ العلم عن شيخ زمانه بمزاب: الشيخ عمّي سعيد الجري، وهو من أنجب تلاميذه. وأخذ عنه أئمة ومشايخ كثيرون.

عُرف أبو مهدي عيسى بالعلم والفهم والاجتهاد والورع، وأوتي ذكاءً وعارضة قوية، فكان ينافح عن اختياره للمذهب الإباضي. وله تأليف عديدة في مختلف فنون العلم؛ أشهرها: «مجموعة من الرسائل والردود والأجوبة»، منها: ردّه على أبي الحسن البهلولي الذي كَفَّر الإباضية. ورسالة بليغة «في الردّ على بعض الطاعنين في المذهب الإباضي» يدافع فيها عن زميل له تَمَذَّب بِمَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ والاستقامة، وهذا سنة 929هـ. و«رسالة إلى أهل وارجلان»، يدعوهم فيها إلى الصراط المستقيم. و«جواب في قضية خلق القرآن» مع منظومات وقصائد علمية⁽⁵⁾.

(5) الترجمة مأخوذة باختصار من: معجم أعلام الإباضية/ قسم المغرب الإسلامي؛ تأليف: محمد بن موسى باباعمي، وإبراهيم بن بكير بحاز، ومصطفى بن صالح باجو، ومصطفى بن محمد شريفي. ط 1: 1420هـ / 1999م. دار الغرب الإسلامي - بيروت / لبنان. (الترجمة رقم 700).

(2) الرسالة حافلة بأسلوب أدبي راقٍ نثرًا وشعرًا، يدلّ على ما يتمتع به الشيخ أبو مهدي من ملكة في هذا الجانب، وقوة تعبيرٍ بعيدة عن التكلف، وربما يتأكد هذا بمقارنة أسلوبه في هذه الرسالة بأسلوبه في بقية رسائله ومؤلفاته، وإن كان مهزوم الحق، إذ لم يبرز إلى نور المطابع من آثاره إلا النزر اليسير إلى الآن. ولم أستطع قرّ ما هو من مقوله عما هو من منقوله من الشعر الوارد في الرسالة إلا قليلاً، فعبارته غير صريحة، مع الأخذ في الاعتبار أنه شاعرٌ أثرت عنه جملة قصائد تُشكّل في مجموعها ديواناً.

(3) قدّمت الرسالة صورةً عامّةً عن عصرين اتّحدا زماناً (وهو زمان كتابة الرسالة) واختلفا مكاناً:

- فالعصر الأول: عصرُ استقرارٍ ورخاءٍ في عُمان، زمنَ الإمام بركات بن مُحمّد بن إسماعيل، الذي تولّى الإمامة في الفترة ما بين سنتي 942-964 هـ. وبهذه الإشارة نستطيع تحديد تاريخ كتابة الرسالة، وقد وصّف أبو مهدي أحوالاً سارةً عن عُمان وأهلها، نقلًا من لسان الحاج مسعود بن أحمد العُمانيّ الوافد إلى مزاب⁽⁶⁾.

⁽⁶⁾ حول عصر الإمام بركات في عُمان راجع: إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان؛ تأليف: سيف بن حمود البطاشي. ط2: 1425 هـ/ 2004 م. الناشر: مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية/ سلطنة عُمان. ج2/ ص 387 فما بعدها.

- والعصر الثاني: عَصْرُ وِفَاقٍ بعد خلافٍ، وراحةٍ بعد فتنَةٍ وحروبٍ
 ابتُلِيَ بِهَا بنو مصعب في وادي مزاب، وقد مَنَّ الله عليهم - على حد تعبير
 أبي مهدي - بالصلاح والإصلاح وتأليف القلوب، فبدأوا يؤسسون
 لأنفسهم نهضة علمية اجتماعية، قاد لواءها الشيخ عَمِّي سعيد الغرداوي
 (ت927هـ) وتبعه عَصْرِيَّه وتلميذه أبو مهدي كاتبُ هذه الرسالة، فكانا
 بذرةً حسنة لزرع آتَى أَكْلُهُ بعد حينٍ⁽⁷⁾.

(4) لا تتضمن الرسالة ذكرًا لأعلام إباضية مغاربة، وأبو مهدي يشير
 إلى طلبة بني مصعب وعامتهم دون تخصيص أحد منهم بالاسم. أمَّا
 الأعلام العُمانيون فأفادتنا الرسالة بأَسْمَاءِ سِتَّةٍ منهم؛ هذا بيانهم حسب
 ترتيب ورؤودهم فيها:

1. الفقيه الأديب الحاج مسعود بن أحمد العُماني: هكذا سَمَّاه أبو
 مهدي، وهو الوافد إلى مزاب لزيارة إخوانه الإباضية هناك، ولا تَذْكُرُ
 الرسالة رفيقًا له، وقد نَقَلَ إليهم أخبار إخوانهم أهل عُمان، ثم طلبوا منه
 أن يستوطن مزاب فأبى مُعتذرًا بالوالدين.

واسمُ هذا الشيخ يشتهر مع اسم عَلِمَ تذكره المصادر العمانية، وهو
 الشيخ مسعود بن أحمد بن موسى الإزكوي، كان شاعرًا فقيهاً، عاصر الشيخ

⁽⁷⁾ حول أوضاع وادي مزاب في ذلك العصر راجع ما كتبه الباحث: بشير بن موسى عن حياة الشيخ
 عمي سعيد وآثاره (الإصدار الثاني: 1424هـ / 2003م) ص6 فما بعدها (مرقون).

خَلَفَ بن سنان الغافري، وتبادل معه مباحثات نظمية، كما ترك أجوبة
فقهية منشورة. وله قصيدة رثى بها الإمام ناصر بن مرشد المتوفى سنة
1059هـ، ومدح خليفته الإمام سلطان بن سيف، فهو حي إلى هذا
التاريخ⁽⁸⁾.

وَبِمُقَارَنَةِ سريعة نرى أن هذا التاريخ يَبْعُدُ عن تاريخ قدوم الحاج
مسعود العُماني إلى مزاب بِمَا يقارب القَرْنَ من الزمن، فلا يُعقل أن يكونا
شخصًا واحدًا. وعليه يُصبح مسعود بن أحمد العُماني شخصيةً جديدة
تضيفها هذه الرسالة إلى أعلام عمان في القرن العاشر الهجري.
وقبل أن ننتقل عنه نطرح تساؤلًا: إذا كان اللّوَّاحُ سالم بن غَسَّان
الحروصي والشاعرُ محمد بن عبد الله الأغبري اللذان كتب كلاهما قصيدةً
في مدح إخوانهم المغاربة وَوَصَفَ ديارهم ومنازلهم لَمْ يَثْبُتْ أنَّهما رحلا إلى
المغرب، أو زارا مواطن الإباضية هناك، فهل كان الحاج مسعود العُماني هو

⁽⁸⁾ راجع: فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم؛ تأليف: عبد الله بن محمد بن عامر الخراسيني النزوي
(ق11 - 12هـ). تحقيق وتعليق: محمد بن صالح ناصر، ومهني بن عمر التيواجني. ط1: 1416هـ/
1995م. الناشر: مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي - السيب / سلطنة عمان. 1 / 358 و: جواهر
الآثار؛ المنسوب لابن عبيدان. ط1: 1405هـ / 1985م. وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان.
3 / 95 و: إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان؛ تأليف: سيف بن حمود البطاشي. ط3: 1432هـ/
2010م. الناشر: مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية / سلطنة عمان.
486 / 3.

الحلقة المفقودة التي نقل الشاعران من خلالها صورةً حيّةً دقيقة عن
أعلام الإباضية وبلدانهم بالمغرب⁽⁹⁾؟
هذا سؤالٌ يبحث عن جواب.

2. الإمام أبو البركات بركات بن محمد بن إسماعيل: هكذا كناه أبو
مهدي، ربّما اجتهداً منه، لأن المصادر العمانية لا تذكر له كُنيةً. وقد تولى
بركات الإمامة في عُمان - كما أسلفنا - بين سنتي 942 - 964 هـ، وترجع
فيها خلفاً لأبيه بمبايعه من علماء عُمان، وشهد عصره استقراراً نسبياً في
أوله، حتى عارضه وأنكر عليه العلامة أحمد بن مداد، ثم تطورت
المعارضة إلى خروج عليه، فنُصب أكثر من إمامٍ عقبه، كما خرج عليه
السلطان سلطان بن محسن النبهاني سنة 964 هـ وأُخرج من مَعقله، فعُدوا
هذه السنة نهاية إمامته، وإن كان توفي بعدها بعشرين سنة سنة 984 هـ⁽¹⁰⁾.

⁽⁹⁾ راجع قصيدة اللوح في كتاب: اللوح الخروصي سالم بن غسان حياته وشعره (دراسة موضوعية
وفنية)؛ تأليف: راشد بن حمد بن هاشل الحسيني. ط1: 1417 هـ / 1996 م. دون ناشر. ص244.
وراجع قصيدة الأغبري في كتاب: العلاقة بين إباضية المغرب وإباضية البصرة وعمان من القرن الأول إلى
القرن الحادي عشر الهجري؛ تأليف: فرحات بن علي الجعيري. ط1: 1426 هـ / 2005 م. سراس
للنشر / تونس. ص227.

⁽¹⁰⁾ انظر تاريخه في: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان؛ تأليف: نور الدين السالمي (ت1332 هـ). طبعة
مصورة من طبعة سابقة دون تأريخ. مكتبة الاستقامة / سلطنة عمان. 1 / 386 وإتحاف الأعيان 2 /
120، 139، 320، 387، 417.

ومن العرض السابق يترجّح أن رسالة أبي مهدي كُتبت أول عصر الإمام بركات، وزيارة الحاج مسعود بن أحمد كانت كذلك، بناءً على الوصف الذي وَرَدَ في الرسالة.

3. الشيخ أبو عبد الله مُحَمَّد بن مَدَّاد: هذا كُلُّ ما وَرَدَ عنه في الرسالة، وأظنه سَبَقَ قَلَمٌ من كاتبها أو ناسخها، فالمذكورون بهذا الاسم في المصادر العُمانية رَجُلَانِ: مُحَمَّد بن مَدَّاد بن فَضَّالَة بن مَدَّاد بن سَنَد الناعبي⁽¹¹⁾، وحفيده: محمد بن مداد بن مُحَمَّد بن مداد بن فَضَّالَة بن مَدَّاد بن سَنَد الناعبي⁽¹²⁾، وكلاهما من أعيان القرن التاسع.

ولعل المراد: أبو محمد عبد الله بن مداد، واشتَبَه الأمرُ على أبي مهدي (أو على الناسخ) فَقَدَّمَ وَأَخَّرَ بين الكنية والاسم. وهذا الأخير من الفقهاء المعروفين بَعُمان، توفِّي يوم 19 شوال 944هـ⁽¹³⁾. فهو قريبٌ من تاريخ الرسالة، ويؤيِّدُ هذا ما ورد في الرسالة من أنه أخو العلامة أحمد بن مَدَّاد، ولا تَذْكُرُ المصادرُ أحًا له غير عبد الله المذكور. وهو وَمَنْ يليه من الأعلام

⁽¹¹⁾ إتحاف الأعيان 2 / 37.

⁽¹²⁾ إتحاف الأعيان 2 / 38، 51.

⁽¹³⁾ إتحاف الأعيان 2 / 118، 413.

وَرَدُّوا فِي خَاتِمَةِ الرِّسَالَةِ مَخْصُوصِينَ بِالسَّلَامِ مِنْ كَاتِبِهَا، مَا يُشِيرُ إِلَى تَصَدُّرِهِمْ وَمَكَانَتِهِمُ الْعِلْمِيَّةَ⁽¹⁴⁾.

4. الشيخ أبو العباس أحمد بن مدّاد: ويبدو أن الكُنية اجتهاداً من أبي مهدي أيضاً، بناء على ما دَرَجَ عند الإباضية المغاربة من تَكْنِيَةِ مَنْ اسْمُهُ أحمد بأبي العباس، كالدرجيني صاحب الطبقات وكالبدر الشماخي، والمصادر العُمانية تُكْنِيهِ بأبي بكر. وهو أحمد بن مداد بن عبد الله بن مداد بن مُحَمَّد بن مداد بن فَضَالَةَ بن مَدَّاد بن سَنَدِ النَّاعِبِي، عاش إلى نهاية القرن العاشر ولمْ تُؤرَخْ سنة وفاته. جُمِعَتْ أجوبته في كتاب «خِزانة العِبَاد» واشتهر بِمُعَارَضَتِهِ الإمامَ بركات بعد مُدَّة من إمامته⁽¹⁵⁾. وَذَكَرُ هَذَا الشَّيْخُ ضَمَّنَ عُلَمَاءَ دَوْلَةِ الْإِمَامِ بَرَكَاتٍ يُؤَيِّدُ أَنَّ تَكُونَ الرِّسَالَةَ قَدْ كُتِبَتْ أَوَّلَ عَصْرِ الْإِمَامِ الْمَذْكُورِ قَبْلَ خُرُوجِهِ عَلَيْهِ.

5. الشيخ أبو البيان وَضَّاحُ بْنُ مُحَمَّدٍ: هذا الرجل لا تُسَعِفُنَا الْمَصَادِرُ الْعُمَانِيَّةُ بِتَارِيخِهِ، بِقَدَرِ مَا تُعْطِينَا هَذِهِ الرِّسَالَةُ إِشَارَةً إِلَى مَكَانَتِهِ الْعِلْمِيَّةِ، لَكُونِهِ يُقَرَّنُ بِالْعُلَمَاءِ السَّابِقِينَ. وَاسْمُهُ الْكَامِلُ: وَضَّاحُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ صَالِحِ بْنِ وَضَّاحِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَنْجِيِّ، فَهُوَ حَفِيدُ الْعَلَامَةِ

⁽¹⁴⁾ إِذَا صَحَّ اسْتِثْنَايُ هَذَا فَإِنَّا نَسْتَطِيعُ تَحْدِيدَ تَارِيخِ كِتَابَةِ الرِّسَالَةِ بِشَكْلِ أَدَقِّ بَيْنَ سَنَتَيْ 942 هـ (وَهِيَ

سَنَةُ تَوَلَّى الْإِمَامَ بَرَكَاتٍ) وَ944 هـ (وَهِيَ سَنَةُ وَفَاةِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَدَّادٍ).

⁽¹⁵⁾ رَاجِعْ: نَحْفَةُ الْأَعْيَانِ 1 / 386 وَإِنْحَافُ الْأَعْيَانِ 2 / 38، 118 فَمَا بَعْدَهَا.

المشهور صالح بن وَصَّاح المنحي (المتوفى 875هـ). ولا نعرف عنه شيئاً سوى أنه من العلماء المذكورين بعمان في القرن العاشر، أما كُنيتُه فلا تَرُدُّ فيما بين أيدينا من مصادر⁽¹⁶⁾.

6. الشيخ أبو مُحَمَّد عبد الله بن عُمر: يبدو لي أنه الشيخ عبد الله بن عُمر بن زياد بن أحمد بن راشد بن عمر بن راشد بن أبي بكر الشقصي البهلوي⁽¹⁷⁾، ولا تُكَنِّيهِ المصادرُ العمانية بالكنية المذكورة، إنما يشتهر بالشيخ ابن زياد. وهو عالمٌ فقيه أديب، له قصائد كثيرة مشهورة، ولهُ شرحُ رائية أبي نصرٍ في الصلاة. وكان صاحبَ علاقاتٍ متينةٍ مع إخوانه المغاربة، وهو على رأس المبايعين للإمام بركات. لَمْ أَقِفْ على تاريخ وفاته، وهو حيٌّ إلى سنة 983هـ.

خُلاصة القول: هذه الرسالة تفتح آفاقاً جديدة للبحث عن التواصل بين المشرق والمغرب، وتُقَدِّمُ إشاراتٍ تاريخيةً نفيسةً تُسَلِّطُ الضوء على حقبةٍ لَمْ يَكُنْ نصيبُها في كتب التاريخ الإباضي سوى صفحات معدودة متناثرة.

⁽¹⁶⁾ إتحاف الأعيان 2 / 207. وانظر مزيداً عنه في تقديم كتاب: جوابات الشيخ صالح بن وضاح المنحي؛ جمعها ورتبها: قيس بن أحمد بن سالم الوضاحي. ط1: 1437هـ / 2016م. ذاكرة عمان - مسقط / سلطنة عمان. ص36.

⁽¹⁷⁾ إتحاف الأعيان 1 / 309، 311، 312. 2 / 319.